

نافذة

المرأة والواقع

نسمع -نحن معشر الذكورة- بين الفينة والأخرى من يخرج علينا ليقدم لنا نظريات، آخرها تمكن المرأة التي تعني في الحالة الاجتماعية مفهوم المساواة، وهذا إن دل على شيء فإنه يعني أن المرأة مازالت مهمشة بدرجة منها أو من دونها، لحظة أن تقبل هذا المفهوم، الذي يشير أيضاً إلى هضم حقوقها، وكأن بها مخلوقاً ناقصاً، وجدت لغايات لا ترقى إلى مستوى أنها نصف المجتمع، ومسؤولة عن خلق وتربية نصفه الآخر، هذه النظرة المسكونة ضمن الموروث الثقافي، تقاليد وعادات وفهم خاطئ لنظرية المجتمع إليها، فهي دعوة أجدها من الأهمية بمكان للمرأة والرجل، كي نتجه بعبارة مرفقة بالتأني للحديث والبحث عن أصدقاتها وتحديث أعضائها، إن كان لها منهم نصيب، الذين يسعون دائماً لتعنيفها ووصفها بالنقص العقلي والديني، ناهيك عن إنزالها والتكبر عليها وسعيهم للسيطرة عليها بقسوة وتهمك، وإيمانهم بأن عبر الحق المستحدثة بعد أن نشم عطرها القادم من تأتقها، النساء عدد والرجال مدد، وأكثر من ذلك اعتبارها جارية ودائرة شرعية.

قبل أن نخوض غمار ذلك، دعونا ننظر إليها، ونسمع ونقرأ ونحس ونلمس مستجدات أمورها وتطورها عبر الحقبة المستحدثة، بعد أن نشم عطرها القادم من تأتقها الذي أصبح أكثر من ضرورة وحاجة، هذا الذي وجه النظر لحركتها الناشطة، ودخلت من بوابات الحياة التي فتحتها لها ذهنية الذكورة المتعلقة بها، وحينما نتابع وجودها بين العمل والمنزل والحقل، ونرغب مرورها من أزمان عمرها الثلاثة التي أمتت وأصبحت متلازمة، لا نستطيع التفريق بينها، والسبب جمال الألفة والأقعة والتكنولوجيا الحديثة التي نشطت بغاية خدمتها، ولفتت إليها الأنظار، فهي لا تنافس الذكورة؛ بل تنافس ذاتها وجنسها الأنثوي.

دعونا نسأل عمن يصمم ويخترع أزياءها، ومن يصنع بروتوكولات حضورها وأناقيتها، واختيار عطورها، وتهديب سلوكها، من يعلمها فنون الرقص، الفالس والسلو والتانغو والتشاتشاتنا، ناهيك عن الشرقي، ودخولها عالم الفنون من أوسع أبوابه، والحركات والسكنات، واعتبار كل ذلك انتصاراً للمرأة التي لا تبدو قضيتها قضية الوصول إلى حقوقها المضمومة، أو مكانتها المضمومة، أو المساواة مع الرجل غير المأمولة، والبحث عن إنسانيتها المهذومة، وإعلاء شأن كرامتها المنكوبة، إنما هي أبعد من ذلك بكثير، إنها تتجلى في أولئك المستثمرين في وجودها، الذين يضغطون بغاية إبقاء استقلالها، وعلى أنها سلعة تباع وتشري، أو أن تبقى تابعة وفكرة نكرة، ملكها الزوج ودور البغاء، أو آلة لا تعرف الاستقرار، رغم اختلاف الذكور حتى اللحظة حول توريثها وتملكها واعتلائها منابر العلم والقانون والسياسة، وحول كونها إنساناً ذات نفس وروح خالدة كالرجل أم لا؟ وهل تدخل الجنة والمكوكوت أم لا؟ وهل يحق لها أن تترقى في المناصب الدينية، أو تصح منها العبادة أم لا؟ وهل هي أحيولة الشيطان؟ وأن لا قصاص على الرجل في قتلها أو ضربها أو هجرها في المضجع أو إبعادها عنه، فهل هي حقاً مضمومة الحقوق؟

في مثلث القداسة الأصوات مازالت تطلو أنقذوا المرأة، انصروها على أعدائها، وهل يستطيع أحد من الذكورة أن يجد من أعداؤها؟ وإن حاولنا تحديدهم، فهل يكون منهم الدين والشرف والعفة والغيرة والحياء والأمومة والعمل؟ وهل الذين ينادون بالانتصار لها غايتهم تحقيق رفعتها، أم إعادتها إلى الوراء، لكي يبقوا ساداتها والقيمين عليها؟ واني لأعتقد أن أهم عدو للمرأة مسكون في ذاتها، وحتى اللحظة لم تقدر على مواجهته إلا وهو فهمها إنظومه التحرر وأدبياته، وللمعلم ومستلزماته، ربما وأنا أخط هذه الكلمات يقف معي الكثرة أو الندرة، أي إن هناك أيضاً من هو على تضاد مع هذه الرؤية.

لماذا ارتبطت صنيع المرأة بالتكوين والحمل والولادة والدعارة والمعهر والشق والهورى والغرام والحلال والحرام والحجاب والرهينة؟ وغدت جميعها مثل التوابت الحياتية التي من دونها تشعر الذكورة أن هناك نقصاً وخللاً، هل يصح أن نقول: إن وراء كل جريمة امرأة، والتفتيش عنها عندما تنقف خلف صناعة عظام الرجال توصلهم إلى القمم، فإن خانوها دفعت بهم إلى الهاوية، أو تعيدها إليها، وهدفها أن تولد من جديد، أو أن يموت في ذمتها في الأبد، فالمرأة وضمن جميع كتاباتي أنكروها بالمسألة والباحثة عن السلم والأمان إلا أن تجرحها، وهنا تكون الكارثة التي توقظ بداخلها الأفعى النائمة، فإما أن تأخذ بالرجل، أو تأخذ بنفسها إلى حواف الهاوية.

من أين ظهر الدينوسون والقادة والاسماء والاقتصاديون والعلمسك والاجتماعيون والفلاسفة والعلامة من البثرة أم من الأرض التي تجسد ذلك الكهف المظلم القابع بين ثناياها والتصورات التاريخية التي قدمت صورة الإنسان الهمجي الأول الخارج منها، وإذلالها لأبم لحظة عدم بلوغ النشوة؟ الأ يجب أن تتفق المرأة من ذاتها على ذاتها أولة؟ ألم تدرك بأن شعار المساواة هو حالة وهم كبرى غايتها إبقاء المرأة في حالة لها مستمرة.

الواقع يدعونا للعمل للعلم، وكى تصل إلى العدالة عليها أن تسعى للتشريع القانوني الاجتماعي مع مراعاتها للفصل بين العمل والواجبات واحترام تبادلها مع الرجل؛ أي أن تسعى لتوطيق حضورها البيولوجي وعواطفها كأثني ومكانتها العقلية، وأقصدها ملكاتها الفكرية والعملية، إن أرادت التساوي الحقيقي لا الوهمي، وأن تتجرأ وتكتب وتتحدث هي من ذاتها عن ألامها وأحلامها، والأ تستسلم للعداوات المسكونة بين النساء، والأ لا تقدي بالمعتقدات من جنسها اللائي ذهبن إلى الاسترجال أمثال نوال السعداوي، أو إلى الإلهات خلف الرجال من مثل غادة السمان، والأ يكن لهن ليل، بل أن يتشبعن ويعتفرن أنهن قبلة الرجل؛ أي كانت مرتبته أو رتبته فقيراً أم غنياً، قائداً أم عبثياً، فما هي قيم دعوى على ترامب رغم أنها داعرة، وقبله أوصلت كليلتون إلى حلف اليمين وهو كاذب، بعد أن واجه القانون بسؤاله على الستريتنج، وبيرسكوني ومطاردهته للقصر وما خفي أعظم.

من كل ذلك أصل إلى أن الرجل لا يغيره شيء سوى المرأة، فمهما جمع من مال وجاه، يبحث بينهما عن المرأة التي يجد فيها تكتونه، بينه معها، أو تهدمه عليه، فإن لم تتجه لفهم جوهرها وتطورها فستبقى صورة يتطلع الرجال لاقتنائها والبعث فيها، لكنها جاهزة، وفي متناول اليد، فالذي مر بها من عقدة أوديب؛ حب الابن لأمه، إلى اللام لير، وحب البنات لأبيها ووراثتها للعرش واحتلالها مراتب الآلهة وانهايار عظمتها التي عاد الرجل يرسمها لها على هواه، كل ذلك يدعو إلى نبش وعيها التاريخي، كيف كانت، وإلى أين وصلت الآن؟

ندقق فنجد أن عالم الشمال عمل كثيراً على تطوير المرأة، وصنع كما نذكر في مقدم حديثي هذا كامل مستلزمات التحضر والفتنة، إلا أنه من الناحية الأخرى استعبدتها أيما استعبد، والشمال في جنس اللغة ذكر، والعقل ذكر، تحمله الأنثى أيضاً، فهل تعمل بغية الذكر، وتتصرف بمقتضيات أنوثتها؟

هل هي حالة إبداع وخلق وإنتاج لها ولجنسها الآخر؟ أم أنها ستبقى حالة إغواء وإغراء تدعي التحرش والاعتصاب والسبب تعرفه ذاتها؟ إنها المرأة، حاولت أن أكون إلى جانبها مصارحاً ضمن واقعية أدعواها للتفكير فيها.

د. نبيل طعنة

الخليفة الذي أثار الجدل في التاريخ وفي الدراما

هل نجح مسلسل «هارون الرشيد» بتقديم رؤية جديدة عن عصر ذهبي من تاريخ الخلافة؟



سوسن صيداوي

كثرت الانتقادات، والفتح الأكبر هو المقارنة، فمنها يأتي الظلم في التقليل من أهمية الجهد المبذول من الكل على السواء. اليوم ومن عمق المنافسة، يعرض مسلسل «هارون الرشيد» الذي ستنطلق إلى تفاصيله كاملة. ولكن ما أحب التركيز عليه أن كلاً من المخرج وال كاتب مع طاقم الممثلين، صرحوا في وقت سابق بأن المسلسل يقدم رؤية جديدة أو يتحدث عن حياة هارون الرشيد من جوانب مختلفة. اليوم ومن خلال المتابعة أصبحنا قادرين على القول إن المسلسل تاريخي ولكن على غير ما اعتدناه سابقاً، بما يحتويه من خطوط عاطفية درامية قادرة على كسر الجمود الوارد في هذه النوعية من المسلسلات، هذا إضافة إلى أنه يقدم قراءة مختلفة للتاريخ، من خلال دراسة للحالة السيكلوجية

لكل شخصية، وبالمعنى الأيق النسخة الجديدة من «هارون الرشيد» تسعى إلى تقديم الشخصية بحالتها النفسية، وقد استمد كل من الكاتب والمخرج إلى علم النفس المعاصر لتقديم أفعال الرشيد أو ما نسب له، مع مبررات قيامه بها. على اعتبار هذه الشخصية الجدلية لم تكن دموية بل محبة للعلم والمعرفة، كما يتناول ازدهار الثقافة في ذلك العهد العباسي في العديد من المناحي ومن أبرزها: الشعر والغناء وإظهار صورة المرأة العربية فاعلة بطريقة راقية على نحو غير مسبوق في التاريخ العربي. هذا وفي جوانب مهمة من العمل تستعرض الصراعات والإمرات الدائرة حول السلطة، بالاعتماد في هذه المرحلة الزمنية على المزج بين الوثائق وهاشم من الخيال، من خلال شخصية الرشيد ومن حوله، وبالدخل إلى كواليس الحكم، إذا الحديث يطول واليكيم ما أمكننا استدراركه والإحاطة به من أيق التفاصيل.

وصولا حتى إلى حكايات (ألف ليلة وليلة) من خلال لقاء الخليفة الرشيد بالجزارية ضياء (علا ياسين) في الإسطبل أثناء قيامها بتنظيفه، واستراقه للسمع ومع قصص حكاية لفرس (العباسة) التي تهتم بها، ومع قصص الحكايات لم نشأت قصتها الخاصة في جو من العواطف الدافئة أعادت الخليفة إلى مواطن قسمة عاطفية كان اقتدها منذ زمن، في غمرة الإحاح المغنيتية ذات الخال(نور صعب) لإنيابت حبيها لهارون، وبعد تأسيسه لا يتعبده عن مجالس الأنس، طلبت منه مغامرة القصر إلى قصر آخر.

من هنا انطلق هارون ٢٠١٨

مسلسل «هارون الرشيد» يرصد حقائق لا يمكن الاختلاف عليها، فمن يبحث في العصر العباسي-الذهبي-عن العلم والعلماء فسيد كبر علماء الإسلام فيه ومن أسلم أئمة المذاهب الفقهية: الإمام أبو حنيفة، والإمام مالك، والإمام الشافعي، والإمام أحمد بن حنبل. إضافة إلى الأعداد التي لا يمكن إحصائها لعلماء التوحيد والتفسير والحديث والفقه. هذا وفي الأمور الثقافية، ترجمت في هذا العصر روائع كتب الثقافة والسياسة والفكر إلى اللغة العربية وبرزت أسماء كبار علماء العربية مثل: سيبويه والمبرد والأخفش والسكاني وأبي علي القاسم، واشتهرت مدرستا البصرة والكوفة في النحو واللغة، ومكتبة دار الحكمة التي كانت أكبر مكتبة في العالم وتضم مختلف الكتب بمعظم اللغات الحية. أما بالنسبة لما يدور من روايات ترجم المجتمع العباسي بما كان يدور به من فسق ومجون، اكتفى المسلسل في عرض لاقتنار الحداث التي تكثر فيها الجواربي والمغنيات، في مجتمع نفوذه يحكم أكثر من نصف العالم ويخطط في عواصمه وحواضره الكبرى مختلف الجنسيات والمذاهب والثقافات والأذواق، ومن هنا نعود إلى شخصية «هارون الرشيد» فالتواتر الثالث أنه كان يحج عاماً ويغزو عاماً، وامتدت خلافته إلى ستة ١٩٣ للهجرة، ويقول ابن القطيقي: «كان الرشيد من أفاضل الكفاءه وفصحاءهم وعلماهم وكرامتهم، وكان يحج ستة ويغزو ستة، كذلك مدة خلافته إلا سبني قليلة، وكان يصلي في كل يوم مئة ركعة، وحج ماشياً، وكان إذا حج حج معه مئة من الفقهاء وأبناهم... ولم ير خليفة أسبح منه بالمال، وكان يحب الشعر والشعراء ويميل إلى أهل الأدب والفقه».

هذا وفي الختام لا تعرف أن كان المسلسل سينتهي بما جاء من صفحات التاريخ حول الاتفاق الذي جمع به هارون الرشيد أبنائه الثلاثة: الأمين والمأمون والقاسم في الكعبة المشرفة، عندما عقد بينهم اتفاقاً شهد عليه عليه القوم، وهذا الاتفاق عُرف فيما بعد باتفاق الكعبة)، ومفاده أن الخليفة من بعد هارون سؤول إلى الأمين ومن بعده للمأمون.... إذا التحقات الأخيرة هي من مستخبرنا.



صراعات سياسية وعلاقات عاطفية ومسارات متشابكة في هارون الرشيد

وتصديقه للمؤامرات والذسائس التي كانت تحاك عليه، مع رصد أوج الحضارة العربية وتآلقها في عصره وعلى الصعيد كافة.

خطوط درامية عاطفية

فترة مرض أبيه الخليفة، وفي هذا المفصل إشارة لواقع حياة هارون الرشيد وما يرويه المؤرخون عن حكاية تطلعه من زبيدة في ظروف غريبة، ويذكره المشاهد من خلال الحجر الصريح لها في تتابع الأحداث. كما أشار المسلسل إلى العلاقة العاطفية التي تربط العباسية-عندنا حنا-أخت الرشيد، جعفر البرمكي-عبد الحسين النمر- المقرب من الرشيد ورفيقه في مجالس الأنس، مثل العباسية التي تكرر الحديث في سياق المشاهد بأنها صديقة الصبا والشباب مع هارون ومجالس الشعر والأنس، مازجا الخيال مع الحقيقة في الكثير من المفاصل والخطوط الدرامية العاطفية، والتي عادة ما تجذب المشاهد وخاصة في الأعمال التاريخية التي تتصف بالجمود، إن لم يسع الكاتب إلى إدخال بعض المعايير الدرامية القادرة على جذب الجمهور. وعلى ذكر العاطفة شهدنا صراعات بين النساء اللواتي حاولن الحظي بقلب الرشيد، فمثلا ترى العلاقة العاطفية بين هارون وزوجته زبيدة (كاريش بشار)، وسعيها واستغلالها عن كل الجاريات اللواتي يخترن الرشيد، إلى جانب تدخلها في الصراع لتولية ابنها الحكم ودفعه لاعتلاء العرش في

سهرات النساء تظهر براعاتهن في اختراع الجديد من الأكلات

الأساسية التي يعرفها الجميع.

الاختراعات والتقارب

ولا بد من الإشارة إلى التخصيصات التي تقع بها سيدة البيت مما يمكن أن نشاهده من مطبخ بعض ما يعرف الواحد منهم باسم الشيف من تخفيض أو جلصصة، ثم يطلق الواحد منهم اسم طبخة متوارثة منذ القدم، وأذكر أن شيفاً من هؤلاء قدم على شاش التلفزيون طبخة المنزلة بأسود «البانذجان» فكان أن ترك أنزوعة فمرة البانذجان كما هي لإساح حبة البانذجان عند السكب بها وجعل البانذجان على شكل دروب «تقليد» بحيث ترسا قسماً من حبة متعاقفاً النفس، والفرق أن طبخة السيدة الأولى نالت العناية والمتابعة اللازمة بينما طبخة السيدة الأخرى طهيها كان من دون عناية، ذلك أن هذه السيدة ما صدقت أن تترك ما تطلق على النار حتى انصرفت لزبارة جازلة له أو نزلت إلى السوق تستعرض معروضات المحال «الداكان» أما الطبخة فقد تركتها على النار حتى تنضج، لأن النار يخلد هذه السيدة تنضج الحجاره، وقد نجد من السيدات من يكون ما تطلقه لا علاقة له بما تطلق عليه من تسمية، ونذكر على سبيل المثال أن ما يعرف بطبخة المغلوبة لها أسلوب خاص بالإعداد أما أن يطبخ الرز ثم يؤتى بقطع البانذجان المغلية وتوضع فوق الرز، ومن البهارات والمكسرات فهذا لا يشكل المغلوبة



ذلك اليوم وأسلوب طهي أو إعداد ذلك الطعام. وقد تميزت سهرات السنوات بلبالي شهر رمضان بالحديث مطولاً عن إعداد الطعام، فكانت كل واحدة تدلي لولها بذلك متفاخرة حتى لكأنها اخترعت اختراعاً.

طعام لا يتشابه

ومن جهة أخرى فإن من الممكن القول إنه ليس جميع النسوة على نوع جيد بإعداد

ويؤدي الشخصية الرئيسية «هارون الرشيد» النجم السوري قصي خزوي، في بطولة مطلقة مجسدا شخصية الخليفة العباسي الأشهر ومحاول العمل مع المجموعة على تقديم صورة مختلفة وقراءة مغايرة للشخصية، من جوانب معينة لا تتفرد بها السياسة والسلطة ففسب، وإنما كأمونج للرجل العربي، الرجل المنفتح المنحصر والمدفع لدعم العلم والمعرفة، إضافة إلى تناول سياسته في قصره وكيفيه إدارته لدولته التزامية الأطراف، في أحداث تقسم إلى مرحلتين: مرحلة ما قبل وصول هارون الرشيد إلى السلطة، حيث يستعصيه أخوه الهادي-جسد الشخصية النجم عابد فهد- كي يعزله، لكن تدخل الوالدة الخيزران- قامت بالشخصية الفتاة القديرة سمر سامي- حال دون رغبة الهادي في الخلافة، كما يصور المسلسل المرحلة الحاتية- التي تبوأ خلالها هارون الرشيد العرش في نواحيه، ومعها كل ما عاشه الرشيد من صراعات سياسية وعاطفية،

موجز الأحداث

يحفل المطبخ الدمشقي بالبعديد من المأكّل التي تعدها سيدة البيت الشامي، وذلك مما قل وجوده بالبعديد من المطابخ بسورية. وقد تميزت هذه المأكّل بما هي عليه، من لذة الطعم ونكهة الرائحة، لدرجة أن الجارة تكاد تعرف ما تطلق جارتها من طعام بوصول رائحة ذلك الطعام إلى الجيران. ولعل ذلك من دواعي تساكب الجيران مما يطهي من طعام، لدرجة أن ذلك التساكب مما يطهي أصبح تقليداً متوارثاً، ذلك أنه إذا كانت بين الجارات امرأة حبلى وشمت رائحة طعام جيرانها أو جارتها، وقامت بحك مكان من وجهها أو جسمها، فإن شكل ذلك الطعام سيظهر مكان الحك بما يعرف باسم وحة «من الوحام» لا تزول مهما طال الزمن.

حكاية السكبة

وتذكر على سبيل ذلك، ما كانت تقولها النسوة، من أن امرأة حبلى، كانت سائرة بسوق باب البريد وصدف أن خرج من ذلك القرن رجل يحمل صنيئة بها ما يعرف بالكباب الهندي، وهذا الكباب الهندي كما هو معروف يتكون من البندقة والبصل المفروم ويغطق ذلك بقطع من اللحم المفروم بطول يقارب طول القطعة من ذلك اللحم طول الإصبع، وما لبث أن سارع ذلك الرجل الذي يحمل صنيئة الكباب إلى أطعام

مثير كيات

ذلك الكباب الحبلي من ذلك الكباب الهندي خوفاً عليها من أن تشم رائحة ذلك الكباب، وتحك مكاناً من وجهها، أو جسمها، فيظفر مكان ما حكته علامة أو وحة لا تزول فكان ذلك من دواعي تساكب الجيران. وأصبح ذلك التساكب تقليداً لا يزال إلى يومنا بين الجوار بالأسرة التقليدية، بل أغلب حديث الواحدة من الجارات على الهاتف أو وراء باب الزقاق يبينن يشغل جانباً من الوقت حول إعداد كل منهن طعام

وبغضه أن يعاود طعمها منها.